المحور الأول

المحور الأول
مدخل تاريخي و جغرافي للمغرب العربي
البدايات الأولى للبعد الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين
مفهوم البعد الوحدوي المغاربي
البعد الوحدوي المغاربي من خلال المقاومة الشعبية الجزائرية
البعد الوحدوي المغاربي من خلال فكرة الجامعة الإسلامية
البعد الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين في نهاية ق19 و مطلع ق 20
حركة الأمير عبد المالك الجزائري: ثورة في المغرب الأقصى و أصداء في الجزائر 1914 – 1924
الأمير خالد الجزائري و البعد الوحدوي المغاربي 1919-1925
صدى ثورة الريف في الحركة الوطنية الجزائرية 1921 - 1926

مدخـل تاريـخي وجـغرافـي للمغرب العربي:

طرح البحث في موضوع المغرب العربي نقاشا وجدالا حول المفهوم من حيث الكيان والتاريخ والجغرافيا . فمن الناحية الطبيعية شكلت هذه المنطقة امتدادا مورفولوجيا متواصلا مشكلا بذلك وحدة جغرافية فريدة من نوعها تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى السواحل التونسية المتوسطة شرقا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا.كما شكلت هذه المنطقة كيانا بشريا موحدا اشتركت عناصره وتوحدت وانصهرت وانسجمت في الجنس واللغة والدين والتاريخ .فقد انصهرت هذه العناصر منذ حقبات زمنية طويلة في عدة نطاقات آخرها نطاق الأمة الإسلامية (العالم الإسلامي)

كما عرفت بالموازاة مع ذلك عدة تسميات تاريخية قديمة مثل : نوميديا و موريتانيا و أخرى حديثة ومعاصرة مثل شمال إفريقيا وهي تسميات استعملتها المدرسة التاريخية الكولونيالية بغرض فصل المنطقة عن أبعادها الحضارية وامتدادها التاريخي مع الشرق الإسلامي .كما استعمل بعض المؤرخون الأوربيون تسمية الدول البربروسية نسبة إلى الإخوة عروج وخير الدين. وركزت الأدبيات الاستعمارية على مصطلح بلاد البربر لخدمة مشروع التفرقة والسيطرة على المنطقة. وفي المقابل استعمل بعض الكتاب المسلمين عبارة المغرب الإسلامي لدلالة تاريخية مرتبطة بالفترة الذهبية التي مرت بها هذه المنطقة بعد الفتح الإسلامي لها بعدما سجلت أطول فتراته الممتدة 642م –719م أي بعد قرن تقريبا

وللتسمية المغرب كذلك دلالة فلكية جغرافية لأنها جهة غروب الشمس بالنسبة للمشرق والحجاز، كما ظهرت تسميات معاصرة سايرت تنامي الوعي الوطني وتصاعد الحركات الوطنية المناهضة للاستعمال مثل " المغرب العربي". بالإضافة إلى ذلك ظهرت تسميات أخرى بأبعاد سياسية منها : " المغرب الكبير ، المغرب الموحد .مغرب الشعوب ....فهي موحدة بحكم التاريخ كما استعمل ابن خلدون مصطلح المغرب وقصد به المنطقة التي حددها بتضاريسها ومجالها الجغرافي الممتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأبيض

المتوسط وسماها في مواقع أخرى بجزيرة المغرب وهي المنطقة التي تضم حاليا كل من تونس ، الجزائر ، المغرب .أو بما يسمى المغرب الأطلسي (مصطلح استخدمه محمد بلقاسم للتعبير عن هذه المنطقة)

وقد عرفت هذه المنطقة تجارب وحدوية تاريخية جد ثرية مثل : دولة المرابطين 1071م-1144م ثم الموحدون 1130م-1269م ، وبعد سقوطهم عرفت هذه المنطقة كيانات سياسية مستقلة (الزيانيين ،الحفصيين ،المرديين) وفي مطلع القرن 16 عرفت هذه المنطقة تطورا معياريا بدخول العثمانيين إلى الجزائر منذ 1518 م وكان قد تعرض قبل ذلك للغزوات الإيبيرية خلال القرن 14و15 م وقد أثر ذلك على وحدته السياسية والتاريخية مما أدى إلى تفريق شعوب هذه المنطقة لأول مرة .

كما ظل المغرب العربي منذ القرن 7 م مرتبط بالضفة الأخرى العالم الإسلامي المتمثلة في المشرق الإسلامي ولم يقطع أبدا صلته بدار الإسلام سواء أثناء فترة التبعية المباشرة له في "عهد الولاة " أو أثناء بناء ذاته المستقلة عن الخلافة (المرابطون و الموحدون.....)او حتى حين تفككت وحدته التاريخية وضعفت فبقي التواصل الديني قائما ومعبرا عن الالتزام بالانتماء للعالم الإسلامي والخلافة إسلامية كسلطة روحية وسياسية. وقد تدعم ذلك بالكثير من الروابط السياسية والثقافية ومختلف أشكال التبادل الحضاري بين ضفتي العالم الإسلامي ولكن ذلك لم يدمجه ولم يذبه فيه نهائيا ، فقد حافظت منطقة المغرب العربي على العديد من خصوصياتها الحضارية المستقلة بذاتها ،فهذه المنطقة تفاعلت كثيرا تاريخيا مع الضفة الشمالية لبحر .أ.م (أوربا ، العالم الغربي) وكان هذا التفاعل بعدة أشكال .لقد أدت كل هذه المعطيات التاريخية والطبيعية والسياسية إلى ظهور كيان المغرب العربي قائما بذاته مختلفا عن بقية كيانات العالم الإسلامي ولكن ذلك كان عامل للوحدة وليس للتفرقة .

وقد كانت هوية المغرب العربي محل جدال فكري وإيديولوجي بانعكاسات سياسية بين نخبه الفكرية وتياراته السياسية ،فقد كانت الشخصية المغاربية موضوع خلاف واختلاف بين توجهين :

توجه فرانكفوني : اعتبر الشخصية المغاربية ظاهرة تاريخيه مستقلة ومتميزة عن بقية مناطق العالم العربي الإسلامي والمشرق العربي بالذات ،ولذلك يعتبر الحفاظ على هذه الاستقلالية ذات النزعة الانفصالية مسألة استراتيجية ويرفع هؤلاء في نقاشاتهم الفكرية حجة "الأمازيغية" كمسألة استراتيجية لا يمكن التنازل عنها لأنها ضمان الاستقلال أو الانفصال، وغالبا ما يحبذ هؤلاء استعمال مصطلح شمال إفريقيا أو المغارب في استعمالاتهم اللغوية

توجه عربي إسلامي : يعتبر التراث التاريخي للأمة العربية الإسلامية مكون أساسي لهذه المنطقة ، فهم يعتبرونها جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي ولا يمكن فصلها عنه وبالنسبة لهم تجلى هذا البعد في مسار تاريخي طويل تجاوز 15 قرنا وكان باعثا لديناميكية واضحة من خلال العديد من المحطات التاريخية مثلما حدث أثناء مقاومة الاستعمار

وقد ظهر هذا الخلاف بين التوجهين في العديد من المحطات التاريخية ، مثل ما حدث في الأزمة البربرية للحركة الوطنية الجزائرية سنة 1949 م بظهور أسطورة "الحزب الشعبي القبائلي " .كما كان موضوع الهوية أساسيا في الخلاف بين الحبيب بورقيبة و صالح بن يوسف حيث اختلف الرجلان حول مشروع الدولة التونسية المستقلة وقد انتهى ذلك بتصفية بورقيبة لصالح بن يوسف ، أما في المغرب فإن هذه المسألة لم تطرح بنفس الكيفية بالرغم من وجود أفكارها في صفوف الحركة المغربية . إلا أن وحدة الحركة الوطنية في الشمال والجنوب أو خليفيا وسلطانيا حول مسألة العرش العلوي الشريف كثابت أساسي من ثوابت المغرب الأقصى مجتمعا وثقافة وسياسة حالة دون أن يظهر هذا

الانقسام ولكن ذلك لم يمنع من ظهور بعد استقلال المغرب من خلال العديد من الأحداث مثل أحداث الريف 1957م ومازالت متواصلة الى اليوم.

وفي جميع الأحوال فإذا كانت العروبة تظهر في المشرق العربي كأصل من أصول المجتمع فإن ذلك لا ينطبق في المغرب العربي تماما ، فالعروبة في هذه المنطقة لا تحمل دلالة ثقافية أو قومية أو حتى سياسية ، فهي في هذه المنطقة مهما كانت تسميتها مرادفة للفكرة الإسلامية ،فالعروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة في المغرب العربي ، فهذا الأخير لم يشهد مشروعا قوميا مثل ما حدث في المشرق ،فالأقطار المغربية لم تتبنى مشروع وحدة المغرب العربي الا في سياق تاريخي محدد بدأ منذ الفتوحات الإسلامية ،عكس ما حدث في المشرق الذي عرف الكثير من المشاريع القومية الناصرية البعثية....إن المغرب العربي هو تعبير عن تكامل كل أبعاده التاريخية من إسلام وعروبة وأمازيغية.

1-البدايات الأولى للبعد الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين:

1/2: مفهوم البعد الوحدوي المغاربي : يقصد به كل المظاهر والنشاطات السياسية والثقافية وغيرها من الأنشطة و التحركات التي قام بها الجزائريون في السياق المغاربي لمواجهة الاستعمار الفرنسي وقد ظهر ذلك في مختلف الأدبيات والبرامج ولوائح الحركة الوطنية ومختلف الأنشطة وكل ما قام به الجزائريون من أجل التحرر وتجاوز حدوده القطرية وطرح مسألة الوحدة في التحرر كحتمية للوحدة التاريخية والمصير المشترك .فقد طرحت مسألة وحدة المغرب العربي في العديد من المحطات النضالية منذ مطلع القرن 20م ، عندما تجاوزت مقاومة الجزائريين في الكثير من الأحيان الحدود القطرية وكانت لها أبعاد شملت كل أقطار المغرب العربي في العديد من المحطات التاريخية .

<u>2/2 : البعد الوحدوي المغاربي من خلال المقاومات الشعبية الجزائرية</u> : من أكثر مظاهر البعد الوحدوي لدى الجزائريين ما تميزت به المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي ، بالرغم من الاستسلام الرسمي للحكومة المركزية في الجزائر(داي) ،فإن المقاومة الشعبية التي

انطلقت بعد ذلك أبرزت بعدا مغربيا ،بالرغم من أن ذلك لم يلقى تجاوبا من طرف الأنظمة الحاكمة في المغرب وتونس .

فالأمير عبدالقادر انتبه بشكل مبكر إلى ضرورة وحدة وتضامن شعوب المغرب العربي لمحاربة المحتل الأجنبي ،فقد اعتبر أن الاحتلال الفرنسي للجزائر مرحلة سيليها احتلال كل من تونس والمغرب لذلك سعى منذ انطلاق مقاومته إلى تبنيه الأنظمة الحاكمة في تونس والمغرب لهذا الخطر بربط الصلة سوآءا على المستوى الرسمي أو الشعبي ، ومن جهة أخرى حاول أحمد باي في الشرق الجزائري ربط صلة مع تونس في بداية الأمر أدركت الدولة العلوية الشريفة في المغرب هذه المسألة فتجاوب السلطان مولاي عبدالرحمن مع الأمير في الأول ومده بيد المساعدة تحت راية الأخوة الإسلامية وكذلك خوفا من المصير المحتوم ستقع فيه الدولة العلوية الشريفة .لكن هذا الدعم لم يتواصل بعد انهزام الجيش المغربي في معركة "إسلي " في أوت 1844م التي أدت إلى اسستلام علوي نهائيا من خلال معاهدة "لالا مغنية " في مارس 1845م التي وضعت حدا لهذا التضامن المغاربي في الجهة الغربية من خلال العدو المشترك .

وفي تونس صدم النظام التونسي، الذي كان تحت سيطرة عائلة الحسينية منذ مطلع القرن 18م، بالاحتلال الفرنسي للجزائر بالرغم من تدعيمها وتأييدها له .فحاولت عن طريق إصلاحات فاشلة استدراك الأمر. وحتى عند ما أراد الأمير عبد القادر الالتفاف حول باي تونس لم يجد التجاوب مثلما حدث مع المغرب. أما المقاومة الشعبية التي تواصلت بعد الأمير وأحمد باي فلم تتلقى أي مساعدة من طرف بايات تونس ، إلا أن ذلك لم يمنع من تدعيم الأهالي التونسيين للمقاومين الجزائريين ، وحتى الحادثة التي أدت إلى الحماية الفرنسية على تونس وقعت على الحدود التونسية الجزائرية من خلال قبائل بني خمير فقد بقي الجزائريون يعتبرون تونس وطنا لهم ، ففي العديد من المرات لجأ المقاومين الجزائريين إلى تونس عندما طردوا من فرنسا مثلما حدث مع ثورة المقراني 1871م حيث انتقل العديد من المقاومين الى تونس بعد نهاية الثورة وذكرت الوثائق التاريخية أن الأمير

عبد القادر تدخل لصالح هؤلاء لدى الدولة العثمانية للضغط على باي تونس للسماح لهؤلاء بدخول والاستقرار في تونس .

وفي الجنوب الغربي كانت مقاومة أولاد سيدي الشيخ نموذجا قائما لهذا البعد المغاربي فقد وجه الشيخ بوعمامه العديد من الرسائل الى شيوخ القبائل في المغرب الاقصى يحثهم فيه على الجهاد ضد فرنسا باعتبارها عدو مشترك بين الجزائريين والمغاربة .وتشير الوثائق التاريخية أن بعض هذه القبائل لبت نداء الشيخ بوعمامة وقاومت إلى جانبه ،قد ذكر المؤرخ المغربي مبارك زكي الكثير من التفاصيل عن هذه المشاركة من خلال ما ورد عن مقاومة بوعمامة في المصادر التاريخية المغربية ،ثم أن بوعمامة لجأ إلى المغرب في 1883م واصل مقاومته من هناك على غاية وفاته 1908م

3/2 :البعد الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين من خلال فكرة الجامعة الإسلامية :

تحولت فكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في نهاية القرن التاسع عشر كحل لدى شباب المغاربة من مختلف الاقطار للمشكلة الاستعمارية .فقد نسج الجزائريون و المغاربة والتونسيين تصوراتهم من خلال الصحافة وأخبار الحجاج والعائدين من المشرق والحجاز حول مشروع الوحدة الإسلامية، فقد علق الجزائريون آمال عريضة على هذه الفكرة للخلاص من السيطرة الاستعمارية ،خاصة بعد فشل المقاومة الشعبية في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 .فقد عرفت هذه المنطقة عدة بوادر توحي بعلاقتها الوطيدة مع فكرة الجامعة الإسلامية .فقد قام السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ باتصال مع الدولة العثمانية خلال 1909م و1910م باستقباله لبعثة عسكرية عثمانية بقيادة عريف طاهر باي بغرض تطوير المغرب وفق تصورات الجامعة الإسلامية فتكونت نواة شبان المغرب العربي لتنمية الشعور الوطني وإيقاظ البلدان المواجهة الاستعمار ونشر فكرة الجامعة ، وفي هذا السياق قام التونسي علي شابا حامبه باتصالات مع العديد من الشبان الجزائريين لتدعيم هذه الجبهة الجديدة وجرى حوار كثير بين هؤلاء الشباب حول إمكانية عقد مؤتمر إسلامي كبير لكل افريقيا

الشمالية بغرض وضع أسس "أمة شمال إفريقيا "ولم يكن الشبان الجزائريون بعيدون عن هذا المشروع وبالرغم من أن كل هذه الأفكار لم تتجسد ميدانيا خاصة بعد حل حركة الشبان التونسيين ونفي زعمائها بالإضافة على إعلان الحماية الفرنسية على المغرب 1912م ، ولكن ذلك لم يمنع من مواصلة النشاط والنضال من اجل وحدة المغرب العربي بحضور جزائري قوي و مؤثر في مختلف المحطات .

في هذا السياق لم يكن التقارب الألماني العثماني ليمر بدون تأثير على مسألة المغرب العربي فقد كان التأثر مشترك بين فكرة الجامعة الإسلامية والقومية الإسلامية التي كانت تمثلها الدولة العثمانية خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، فقد أثرت كل هذه المعطيات على ذهنية النخبة المغاربية ، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبحت آمال الشبان الجزائريين ومغاربة وتونسيين بصفة عامة مرتبطة بما سوف يحققه الوفاق الذي تم بين الدولة العثمانية و ألمانيا التي أصبحت تسمى بصديقة الإسلام والمسلمين كل ذلك أدى إلى ظهور أفكار وحدوية مغاربية سواء في الداخل أو الخارج.

4/2 : البعد الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين في نهاية ق19 و مطلع ق 20 :

يعتبر كل من المصلحي الجزائريين عمر راسم وعمر بن قدور من الوطنيين المغاربة الأوائل الذين رفعوا شعار الوحدة المغاربية في نضالاتهم الفكرية والسياسية ، فقد كان كلاهما في تيار الحركة الإصلاحية الإسلامية في سياق فكرة الجامعة الإسلامية ، ولذلك لم يكن لنشاطهما حدود جغرافية بتجاوزه للعالم الإسلامي كله.

بالنسبة لعمر راسم (1884م- 1959م) كان مصلحا وصحفيا وعرف كذلك في المجال الفني كرسام عالمي قدير له عدة مساهمات في الحركة الصحفية المغاربية فأصدر عدة عناوين من بينها جريدة "الإصلاح "والجزائر سنة 1908 و " ذو الفقار" سنة 1913 .لقد قام هذا الرجل بنشاط وطني كثيف عشية الحرب العالمية الأولى مما أدى الى سجنه 1915- 1918 كما عبر عن أفكاره في المجال الفني عن طريق الرسم والخط والزخرفة وينسب له في العالم الفني بـ "المنمنمات " .في 1931 أسس بالجزائر مدرسة لتعليم الفن

التصوير والزخرفة العربية .درس فيها مع شقيقه محمد راسم ، وتحولت الى مصدر إلهام للعديد من الرسامين الجزائريين كما شارك في الحركة الصحفية التونسية بعدة مقالات إصلاحية كانت تدعوا الى نهضة العالم الإسلامي والمغرب العربي على وجه الخصوص ، فقد ظهر توجهه المغاربي في عدة صحف مثل : "الفاروق" التي اشترك فيها مع ابن قدور قبل أن تصبح خاصة لهذا الأخير ،وقد ظهر هذا التوجه الوحدوي في الجريدة التي أصدرها أكتوبر 1913 تحت عنوان "ذو الفقار " حيث كان يكتب فيها عدة مقالات وحدوية تدعو إلى وحدة المنطقة المغاربية في نضالها الثقافي

وكان يكتب هذه المقالات تحت أسماء مستعارة مثل:" ابن المنصور الصنهاجي" كدلالة تاريخية للبعد المغاربي الموحد لشعوب المنطقة .وقد تضمن خطها الافتتاحي اتجاها إسلاميا خاصة وان عنوان ذو الفقار نسبة لسيف الصحابي الجلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه و كرم الله وجهه. و قد اعتبر عمر راسم هذه الجريدة كرد فعل على الطعنات التي وجهت للإسلام من طرف اعدائه. فقد اصبح حسب تعبيره "الوطن ينادي لتحريره وتوحيده" كما جاء ذلك في العدد الأول، وقد ظهرت عبر أعمدة هذه الجريدة الكثير من المقالات الثورية والوحدوية للمغرب العربي ولعل من أبرز مظاهر هذا البعد المغاربي الموحد اتصال عمر راسم بالتونسيين من خلال الكتابة في الصحافة التونسية كما وقف إلى جانب الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى وعارض التجنيد الإجباري للجزائريين الذي اعتبره متعارضا مع الانتماء الحضاري والتاريخي للجزائريين.

أما عمر بن قدور (1886-1932م) فقد كان مرافقا ومصاحبا لعمر راسم وآمن بالتيار الإصلاحي وفكرة الجامعة الإسلامية التي أدت بالنسبة له بضرورة الوحدة المغاربية التي كان من دعاتها الاوائل. فقد كان أول مصلح جزائري يدعو إليها بشكل صريح وواضح من خلال ما كان يكتبه من مقالات في عدة صحف مشرقية ومغاربية. فقد كانت فكرة المغرب العربي قضية متواصلة و أصبح يدعوا إليها بشكل متواصل بين 1906و1912م .كما ظهرت أفكاره الوحدوية في جريدة " الفاروق " الأسبوعية منذ عددها الأول في 18 فيفري

1913 م . فقد كانت مضامين هذه الجريدة ثرية بالدلالات الوحدوية لشعوب المغرب العربي . ولعل ذلك ما دفع عمر بن قدور إلى نشر ما كتبه في الفكر والأدب. الكثير من الكتاب التونسيين والمغاربة وحتى بعض الليبيين .و ومن أبرز مظاهر البعد الوحدوي لدى الرجل : اهتمامه بالمسألة الطرابلسية 1911م والمراكشية 1912م حتى قبل أن يطرح ذلك في جريدة "الفاروق" و لإبراز هموم شعوب هذه المنطقة كتب عمر بن قدور في بعض الصحف المشرقية مثل :" اللواء" و " الحضارة " الصادرتين في إسطنبول ،و لقد جمع عمر بن قدور بين الوحدة المغاربية والإسلامية واعتبرهما متلازمتين لا يمكن الفصل بينهما ، فالنسبة إليه إذا كان العالم الغربي يعتمد على البعد المسيحي لتوحيد شعوبه فإن المسلمين اول بذلك ولذلك فان وحدة المغرب العربي ظهرت في أدبيات كضرورة تاريخية وحضارية وفي نهاية الأمر فهي حتمية .

وقد حاول تجسيد هذه الأفكار من خلال العديد من التجارب أو المبادرات التنظيمية ، فقد أسس "جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا" وقد اعتبر هذه الهيئة مشروعا تاريخيا هاما ومصيريا بالنسبة لشعوب المنطقة ولذلك هذا النداء وجد صدى لدى العديد من النخبة التونسية والمغربية فقد سماه عمر بن قدور في العدد66 من جريدة الفاروق الصادر في جويلية 1914م "قبلة المفكرين ، وغاية للإعلاء وتنمية التعاون بين شعوب المنطقة ...فهو يحقق الغاية القصوى ويؤدي إلى الوحدة و الائتلاف".

لقد كان الاتجاه الوحدوي لعمر بن قدور، وحتى عمر راسم ، مظهر من مظاهر التعلق بروح دعوة الجامعة الإسلامية وتجسيدا لمظاهرها في جريدة " العروى الوثقى " لجمال الدين الأفغاني .

لقد كانت أفكار الرجلين تدعوا إلى وحدة الشعوب المغاربية عن طريق تحريرها من الاستعمار الذي سمي في أدبيتهما أوربيا وصليبيا. فمفهوم الوحدة المغاربية بالنسبة لهما جزء لا يتجزأ من مفهوم العالم للوحدة إسلامية. لذلك دعم التونسيون الجزائريون وحتى المغاربة (المراكشيين).وقد ظهر ذلك من خلال الأقلام التونسية في جريدة الفاروق مثل :

الطيب بن عيسى ، حسين الجزائري ، الصادق الرازقي ،إبراهيم فهمي وحتى أحمد توفيق المدني الذي بدأ نشاطه الصحفي كمراسل للفاروق في تونس ،فقد تجاوب كل هؤلاء وغيرهم مع مشروع الوحدة المغاربية الإسلامية التي نادى إليها عمر بن قدور وقد اعتبرت السلطات الاستعمارية هذا الطرح خطرا متصاعدا ،فأوقفت صدور العديد من الصحف وسجنت عمر بن قدور وعمر راسم . وآخرون تونسيين مثل : الطيب بن عيسى ، حسين الجزائري ، توفيق المدني سنة 1945م بتهمة "تجاوز القوانين والتطاول على السلطة واستغلال الصحافة لتهييج وتثوير المغاربة والجزائريين والتونسيين". ولعل هذا ما ذكره بشكل مطول احمد توفيق لمدني في مذكراته بما يتعلق بالإجراءات الاستعمارية التي مورست ضد هذا التيار أثناء الحرب العالمية الأولى .

ومن المهجر قام العديد من المغاربة الوطنيين بالدعوة إلى القضية الوطنية والبعد الوحدوي للنضال المغاربي، وقد كان ذلك في سياق الهجرة التي قام بها عدد كبير من المغاربة إلى المشرق ، فاستقر عدد منهم في الشام و الأستانة .... ومن تلك الأماكن فكر هؤلاء في تحرير بلدانهم في سياق فكرة الجامعة الإسلامية ولم يترددوا في استغلال التحالف "المصلحي" الذي تم بين ألمانيا والدولة العثمانية قبل الحرب والذي أدى إلى نصرة ألمانيا في هذه الحرب .وفي هذا السياق ظهر الزعيم التونسي علي باشا حامبه(1875-1918) كأحد دعاة الوحدة المغاربية الإسلامية خاصة بعد نفيه إلى إسطنبول في سنة 1912 م بعد أحداث مارس 1912م ،فقد وجد هذا الرجل في إسطنبول العديد من الشخصيات العربية الإسلامية التي نشط معها مثل : محمد فريد بك وسلمان الباروني ،عبد العزيز جاويش، والأمير شكيب أرسلان و آخرون ،فقد تفاعل مع هؤلاء ووطد الكثير من الصلات معهم وفي هذه الظروف قام علي باشا حامبة بنشاط مكثف لخدمة القضية المغاربية ،فقد طرح مسألة المغرب العربي في العديد من المقالات التي كان ينشرها مثل : "الشاب التركي" و"تصوير الأفكار" و من خلال هذه الادبيات ظهرت الافكار الوحدوية لعلي باشا حنبه.

من أهم أعمال المغاربة في المشرق العربي وإسطنبول شنهم للعديد من الحملات الصحفية لانتقاد السياسة الفرنسية الاستعمارية للمغرب العربي مثل ما ظهر ذلك على أعمدة جريدة "المهاجر " الصادرة سنة 1912 والتي أصدرها الجزائري "محمد التوهامي شطة" (الأغواط) الذي هاجر الى تونس ومنها على بلاد الشام سنة 1908 فقد قام هذا الرجل بحملة جمع تبرعات سنة 1911 م لصالح الليبيين وفي 1913 قام بحملة ادعائية كبيرة ضد التواجد البريطاني في المشرق . ومن أعمال المغاربة في المهجر ذات البعد الوحدوي تأسيسي الجمعيات مثل : "جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي" بين الجزائريين والتونسيين التي أسسها كل من صالح شريف وإسماعيل الصحافي بغرض تقديم المساعدة للمهاجرين المغاربة وكان من اهم أعضائها الجزائريان الشيخ الحسين ومحمد بن الصغير من مدينة سدارته والدراجي بن حسين والحاج إسماعيل بن محمد من قسنطينة.

في 1911 تأسس في القاهرة "الاتحاد المغربي" بغرض إثارة المغرب العربي ضد فرنسا في حالة نشوب نزاع مسلح إقليمي أو دولي، وأرسل هذا الاتحاد عدة رسل بشكل سري الى منطقة المغرب العربي لتحضير التمرد ضد فرنسا. وفي 1913 أسس الشيخ المكي بن عزور في المدينة المنور "جمعية الشرفاء" وكان من أهدافها إثارة الجزائريين ضد فرنسا ، وقد حضر اجتماعاتها الكثير من الجزائريين مثل : القائد لخضر بن سليمان ومحمد بن الزواوي من قسنطينة وكان لها عدة أعمال دعائية لتحرير المغرب العربي وخدمة الخلافة الإسلامية ومساعدة المهاجرين المغاربة .

3/ ثورة الأمير عبد المالك الجزائري في المغرب الأقصى :البعد المغاربي للمقاومة الجزائرية أثناء الحرب العالمية الأولى 1915 – 1924

عرفت منطقة المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى تجاذبات عديدة وفي مختلف الاتجاهات فكل طرف من الحرب أراد استدراج هذه المنطقة لصالحه ولذلك حاول المهاجرون المغاربة استغلال هذا الحدث لتثوير منطقة المغرب العربي. فإذا كان المغاربة المهاجرون الذين نشطوا كثيرا في محور "إسطنبول ،جنيف، برلين" و حاولوا تثوير

المنطقة من الشرق عن طريق طرابلس الغرب ، فإن حركة الأمير عبد المالك التي انطلقت في المغرب الأقصى 1915م قامت بنفس الفعل الثوري لكن من الجهة الغربية.

لقد انطلقت حركة الأمير عبد المالك ابن الأمير عبد القادر ضمن حركة التحرر الإسلامية ويشكل موازي مع النشاط الوحدوي المغاربي ضمن محور آخر وهو(برلين ،مدريد طنجة) بالرغم من غموض الأسباب التي أدت إلى ثورته لقلة المصادر حول حركته ،فإنه لا يمكن اعتبارها حركة معزولة عن الأحداث العامة التي شهدها العالم العربي الإسلامي ، فقد كانت حركة تحررية وحدوية مغاربية مرتبطة بحركة المغاربة المهاجرين وخاصة الناشطين في تيار الجامعة الإسلامية والمشروع الألماني العثماني لإثارة الشعوب العربية الإسلامية ضد الاستعمار البريطاني الإسلامي بما فيهم شعوب منطقة المغرب العربي.

3 / 1 : نبذة عن حياة عبد المالك :

ولد الأمير عبد المالك في دمشق 1868م وهو الابن الثاني للأمير عبد القادر ، تعلم اللغة العربية وتحكم كذلك في اللغتين الفرنسية والتركية ،انضم إلى الجيش العثماني في نهاية القرن 19 وتحصل على رتبة عقيد ، إلا نشاطه السري مع حركة الشبان الأتراك المعادية للسلطان العثماني أجبرته على مغادرة تركيا سنة 1903 ، فر إلى مصر ومنها إلى المغرب حيث حل بمدينة طنجة 1903م ، وقد وصلته حينها أخبار عن مقاومة بوعمامة التي انتهت سنة 1904م، وتفاعل كذلك كثيرا مع مقاومة بوحمارة بالمغرب الأقصى(1902– 1909) ونظرا لخبرته العسكرية طلب منه السلطان المغربي مولاي عبد العزيز أن يكون إلى جانبه وجاء في رسالة كتبها عبد المالك إلى عائلته في الشام أنه تردد كثيرا قبل قبوله هذا العرض الذي انتهى به إلى تعينه قائد للجيش المغربي في القصر الكبير سنة 1906م ، ثم نائبا لوزير الحربية المغربي . وفي 1909 م عين قائدا للشرطة الدولية في مدينة طنجة تنفيذا لقرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م ، وخلال توليه هذا المنصب أظهر قيادة وحنكة كبيرة ، و هنأته باريس عليها

أثناء الحرب العالمية الأولى ذكرت الصحافة الفرنسية أن الأمير عبد المالك وحتى كل عائلة الأمير عبد القادر دعمت فرنسا في الحرب إلا أن عبد المالك فيما بعد ذكر أنه ألزم بالتصريح بذلك نظرا لتواجده في المستشفى في باريس للعلاج من مرض الربو .و في سنة 1915 م رجع إلى المغرب عن طريق اسبانيا ثم توقف في مدينة مدريد لفترة ،و خلالها اتصل به السفير الألماني ليعرض عليه مشروع قيامه بثورة ضد فرنسا مقابل دعم مادي ومعنوي ،وتشير المصادر أنه قبل بهذا العرض لأنه مباشرة بعد دخوله المغرب في مارس 1915 م بدأ التحضير لهذه الثورة التي انطلقت في أوت من نفس السنة 1915.

لم يكن إعلان الأمير عبد المالك الثورة على فرنسا في المغرب منطلقا من فراغ ،فقد تابع الرجل ، أحداث المشرق العربي وعايش حلقات المسألة المغربية كما كان مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية ومتعلقا بأمجاد عائلته و هذه العوامل وغيرها دفعته إلى أن يلعب دورا محوريا في منطقة المغرب العربي من 1915-1924.

لقد استغل عبد المالك الحرب العالمية الأولى وتلقى الدعم الألماني العثماني للقيام بهذه الثورة التي حدثت عن طريق وساطة تمت في مدريد التي حل بها بعد عودته من فرنسا فقد كان له في العاصمة الإسبانية اتصالات حثيثة مع السفير الألماني لإسبانيا الكونت" دورت بور" بمدريد واتفق معه على تفاصيل ثورته في المغرب الأقصى ، لقد جاء في تصريحات السفير الألماني لعبد المالك أن ألمانيا والدولة العثمانية تتعهدان له بإقامة "مملكة واحدة تضمن المغرب والجزائر " ويبدو أن هذه الوعود حركت لدى عبدالمالك كل طموحاته التاريخية التي اعتبرها مشروعه ففي كثير من الأحيان كان يعتبر نفسه أمير لإفريقيا الشمالية لذلك نادى بضرورة تحريرها انطلاقا من المغرب الأقصى ، وعند بداية حركته في نهاية 1915م أرسل الرسل والمناشير إلى المغرب الأقصى والجزائر وتونس مطالبا شعوبها بتأييد وتدعيمه . فقد جاء في أحد مناشيره أن حركته عبارة عن " دعوة للجهاد المقدس ".و للحصول على شرعية تاريخية. ربط عبد المالك عدة صلات مع أفراد عائلته من بينهم الأمير خالد الذي كان متواجدا في الجزائر وحاول الاتصال به بالمغرب و

أخيه الأمير علي باشا والعديد من أفراد عائلته بالشام ، فقد حرص على عدم قطع صلته بالشام حتى يجد الدعم لثورته ، ولم يكن ذلك غريبا أو مفاجئ بالنسبة للأمير علي الذي كان له دور كبير في المشرق العربي ، فقد كان هو الآخر في سياق أفكار الجامعة الإسلامية ، ومن خلال نشاطه ظهر عليه انه كان المنسق بين حركة الأمير عبد المالك وجماعة المغاربة في المهجر وحتى مع السلطات العثمانية الألمانية ، لقد كان كل ذلك من أجل "تحرير المغرب العربي " ، وفي جميع الأحوال فإنه بالرغم من المساعدة الألمانية العثمانية لحركة الأمير عبد الملك ، فإن حركته لم تكن من أجل السلطان العثماني ولا القيصر الألماني، ولا حتى السلطان المغربي، وفي أقل الأحوال كانت اقتداء بسيرة عائلته الثورية ولذلك حاول توحيد المغاربة لضرب الوجود الفرنسي في المنطقة . لقد كانت حركته ذات بعد مغاربي مستفيدا من الدعم الألماني العثماني له . لقد كان هذا التحالف بينهما مصلحيا لا استراتيجيا لأن الهدف كان ضرب فرنسا أينما كانت وأينما حلت وهو ما كان يسعى له الطرفان المتحالفان .

3 / 2 : بداية و نهاية حركة الأمير عبد المالك 1914 – 1925 :

انطلق الأمير عبد المالك من المغرب الأقصى كقاعدة خلفية ونقطة انطلاق لتحريك كل المنطقة المغاربية ضد الاستعمار ، فالمغرب الأقصى في 1914م لم يكن قد سقط كليا للاستعمار .فالمنطقة الحدودية بين المنطقة الشمالية (الخلفية) والمنطقة الجنوبية (السلطانية) كانت كثيرة النشاط الثوري ،فعلى سبيل المثال قام " الريسوني " بحركة مضادة لفرنسا وتحالف مع الأمير عبد الملك ، ولذلك سماه الجنرال "ليوتي الإفريقي "" سلطان المنطقة الشمالية" بالإضافة إلى ثوار آخرون انطلقوا الى المنطقة واحدثوا ضغطا كبيرا على فرنسا وفي هذا السياق انضم الأمير عبد المالك إلى هؤلاء الثوار بعد تمرده عن الإدارة الفرنسية في منطقة طنجة .

فبناء على اتفاق أبرمه مع السلطات الألمانية بمدريد نظم الأمير عبد المالك حركة عسكرية من سكان المنطقة وتوجه بهم إلى داخل المغرب وبالضبط إلى منطقة "جباله"،

وفي هذه الأثناء تحالف معه الريسوني الذي كان في وضعية جد سيئة فمنذ 1915 م أصبح الرجلان يمضيان بيانات مشتركة ، ثم انضم اليهم من مكناس مقاوم مغربي آخر يعرف بـ"الشنقيقي" وعندها أصبح الأمير عبد المالك على رأس قوة عسكرية قام بالعديد من الهجومات على القوات الفرنسية خاصة التي كانت تربط الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب ولذلك اعتبرت باريس عبد المالك عدوا خطيرا ليس لأنه حمل السلاح ضدها ولكن لأنه أحي الروح المغاربية بالإضافة أنه ربط صلة كانت مفقودة بين الثوار في المنطقة الأطلسية وثوار الشمال، بالإضافة أنه كان مطلعا على أحوال فرنسا ،فكل هذه العوامل والظروف رشحته لأن يقوم بدور القائد المغاربي في هذه الفترة 1915-1924.

أظهر الأمير عبد المالك قدراته العسكرية التنظيمية الميدانية بداية من جويلية 1915م عندما كون نواة صلبة من المقاتلين حسب تعبير ليوتي في منطقة تربط بين كل الجهات القاتلية المقاومة في المغرب سواء في جبال الأطلسي أو الريف بالإضافة إلى اتصالاته التي قام بها من جهة الشرق باتجاه الشرق باتجاه الجزائر ، وهذا ما جاء في تقرير عسكري فرنسي سري تحت عنوان " أحداث في الجبهة المغربية " الذي صدر في أوت 1915م. ولم تكد سنة 1915 تنتهي حتى كان الأمير عبد المالك قد وطد صلات قوية مع العديد من القبائل المغربية مثل : بني سناسي ، غزناية، بني يولاحي والمطالسة ، لكن خطره الحقيقي ظهر بعد اتصاله في سنة 1916م بزعيم ثورة الريف فيما بعد محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم قبيلة "بني وريغلة " وقائد ثورة الأطلس الأوسط موحا وحمو الزياني ولعل أكبر مكسب تحصل عليه عبد المالك هو الخطابي عبد الكريم الذي أصبح بالنسبة لعبد المالك رجل اتصالات مع ألمانيا وحلفائها عن طريق اسبانيا للحصول على الدعم العسكري والمادي .وفي جويلية 1915 وصل المبعوث الألماني "Vars" إلى مليلة سرا واتصل بعبد الكريم بميناء أجدير حيث طلب منه إعداد قوة عسكرية من ألف رجل مجهزة ووضعها تحت تصرف الأمير عبد المالك وقد كلف هذا الاتصال سجن عائلة الخطابي . كما ذكر ذلك المؤرخ المغربي جرمان عياش الذي قال :" ان الأمير عبد المالك شوهد في

منطقة الشمالية في صيف 1915 م وسط القبائل المجاورة لتازة لإثارتها ضد فرنسا....وهذا ما أثار قلق الفرنسيين لأنه استطاع أن يؤسس حركة مصلحة ضد فرنسا حتى قبل عبد الكريم الخطابي ففي هذه الظروف كان الخطابي يسعى لإقحام منطقة الريف في هذه الحركة "جرمان عياش أصول حرب الريف ص 211.

يبدو أن الاتصال بين عبد الكريم وعبد المالك أدى بالجنرال ليوتي المقيم العام الفرنسي بالمغرب أن يطلب من السلطات الاسبانية إلقاء القبض على عبد الكريم وولده محمد ، وهذا ما تم بعد أن قضى الأب والابن 6 اشهر في السجون الاسبانية بتهمة الخيانة ابتداء من سبتمبر 1915م ، وقد دفع هذا الضغط الإسباني الفرنسي على آل الخطابي إلى اتخاذ موقفا صريحا مؤيدا لحركة الأمير عبد المالك وأبعد من ذلك عندما دعم عبد الكريم ألمانيا في الحرب العالمية الثانية في فيفري 1916 م وقام حتى بإرسال المال والأسلحة إلى عبد المالك لدخول هذا الأخير في مواجهة مباشرة مع القوات الفرنسية على عدة جبهات واستطاع أن يحقق انتصارا عسكريا بارزا في معركة "سوق الحد" في ديسمبر 1916 .

لقد أصبح الأمير عبد المالك منذ مطلع 1917 م قائد مقاومة مغاربية حقيقة وسعى بكل قوة توحيد المقاومة ضد فرنسا ، مستغلا في ذلك الدعم الألماني والعثماني فقد كانت كل رسائله الموجهة إلى القبائل المغربية تدعوا على الجهاد المقدس في إطار الخلافة الإسلامية وتحرير شمال إفريقيا.

وقد كانت هذه الدعوة جرس انذار دق في باريس ومدريد ،فقد اعتبرت فرنسا حركة الأمير عبد المالك خطرا عليها وعلى تواجدها في شمال إفريقيا ولعل خطورة هذه الحركة ظهرت بشكل جلي عندما تسربت أفكارها إلى الجزائر ، وقد أصبحت حركته ودعوته حديثا بين الجزائريين ومحل اعجاب من طرف الشبان الجزائريين وقد أدرك الجنرال ليوتي هذه الخطورة فقام بكل جهوده بعزل الجزائر عن هذه الثورة خاصة وأن الجنوب المغربي كان يعيش ثورة "أحمد الهيبة" الذي تلقى هو الآخر دعما ألمانيا وعثمانيا ، وعندما كانت كل المؤشرات تشير إلى نجاح حركة الأمير عبد المالك عسكريا وسياسيا عرفت الحرب

العالمية الأولى تطورا غير متوقعا و معاكسا لاتجاه حركة عبد المالك بإمضاء ألمانيا لهدنة الاستسلام في نوفمبر 1918 م . وقد كان ذلك بمثابة صدمة كبيرة بالنسبة لعبد المالك وغيره من المقاومين الذين كانوا يتلقون الدعم الألماني وهذا ما أدى إلى بداية مرحلة جديدة من حركة عبد المالك فقد توقف الدعم الألماني وتخلى عنه الأتراك وبدأت القبائل المغربية في التخلي عنه بعد أن عجز عن الدفع لهم كما كان في الأول وعندها أصبح هدف عبد المالك هو البحث عن حل عادل لقضيته غير مهين له فعلى سبيل المثال تفاوض مع فرنسا على السماح له بمغادرة المغرب والتوجه إلى إسطنبول أو روما ولكن باريس رفضت ذلك و أحكمت عليه حصارا عسكريا واشترطت استسلامه أكثر من شيء آخر.

ابتداء من سنة1921م بدأت أخبار عبد المالك تنقطع فقد ذكرته بعض الرسائل الفرنسية العسكرية أنه كان مقيما بمدينة مليلة و تيطوان ،كما ذكرته مصادر أخرى بأن اسبانيا استأجرته لمواجهة مقاومة عبد الكريم الخطابي . ومنذ 1922 م أصبح عبد المالك في وضعية جد حرجة خاصة بعد اندلاع ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف ، فبعض المصادر تشير أن عبد الكريم الخطابي حاول عزل فرنسا عن صراعه مع اسباني بل باستعمالها لصالحه عن طريق ورقة الأمير عبد المالك وتشير هذه المصادر الى اتصاله بالمارشال ليوتي برسالة سرية تضمنت "مساعدة اسبانيا لعبد المالك لإثارة المشاكل لفرنسا خاصة أن حركته كانت في المنطقة الحدودية بين الشمال والجنوب. وتشير دراسات أخرى أن عبدالكريم أرسل وفدا إلى باريس بقيادة أخوه محمد وصهره الحاج محمد بن الحامي لدعم طلب فرنسا مقابل إنهاء حركة عبد المالك ، وقيل أن باريس اشترطت على الخطابي تسليم عبد الملك ويبدوا أن هذا الاتصال هو ما أدى إلى اصطدام مسلح بين عبد المالك وعبد الكريم الخطابي ابتداء من مطلع سنة1923 . وقد أدت هذه الاتصالات إلى صدام عسكري متواصل بين الرجلين محاصرة عبد المالك في منطقة غرب المدار وقتله في 06 أوت 1924 . مع الإشارة أن الدور الفرنسي كان واضحا في هذه المعركة وهذا ما دفع

بزعماء ثورة الريف إلى نفي قتلهم لعبد المالك متهمين الجيش الإسباني إلا أن مدريد نفت ذلك بسرعة وحملت عبد الكريم الخطابي مسؤولية قتله وهو أقرب للصحة التاريخية ثم نقل جثمانه إلى تيطوان ودفن بها . وبعث الجنرال الإسباني برومدوريفيرا برقية تعزية لابنه الحسن وبالتالي انتهت قصة عبد الملك التي كانت مثالا عن حركة مغاربية بكل الأبعاد فقائدها كان جزائريا والأرض التي دافع عنها كانت مغربية ، وقد كان عبد المالك يهدف من وراء حركته : إلى إحداث ثورة في المغرب العربي إلا أن ارتباط حركته بالتوازنات الدولية المرتبطة بالحرب العالمية الأولى أفشلت هذه الحركة و أدت بها إلى تلك النهاية المأساوية ، بالرغم من أنها كانت سببا في ظهور حركة عبد الكريم الخطابي على الساحة المغاربية.

4 / الأمير خالد الجزائري والبعد الوحدوي المغاربي 1919 – 1925 :

ذكرت العديد من المصادر التاريخية أن الأمير عبد المالك قام من المغرب بعدة محاولات لتوطيد علاقاته مع ابن أخيه الأمير خالد في الجزائر ، فقد طلب منه في 1916 م أن يهيئ الجو بالجزائر للقيام بحركة مدعمة له.ولم يتردد الأمير عبد المالك بإرسال الأموال للأمير خالد لتنشيط هذه الحركة ، ولكن ذلك لم يتم و بقي مشروعا نظريا لأن السلطات الاستعمارية اطلعت على رسالة صدرت من الوكالة الألمانية "وولف wolf" تصور الأمير خالد على أنه قائد جيش مكون 7 آلاف مقاتل بهدف تحرير الجزائر وقد كانت هذه الصورة سببا في تشديد الرقابة الفرنسية على الأمير خالد كما جاء في تقارير فرنسية امنية بأنه سجن من أجلها بالرغم من أن هذه الحادثة كانت في سياق الحرب الإعلامية وحرب "البروباكوندا" بين باريس وبرلين فإنها سمحت لسكان الجزائر بالتعرف حركة عبد المالك في المغرب فقد وصلتهم عن طريق الأمير خالد الكثير من أخبار انتصاراتها وتأثيرها الكبير في المغرب الأقصى .

لقد ظهر الأمير خالد متعاطفا مع عمه عبد المالك حتى أنه أعطى كل الإشارات أنه بصدد القيام بحركة مماثلة له في الجزائر. فقد ذكرت التقارير العسكرية الفرنسية أن الأمير خالد

بعث برسالة إلى أحد أقاربه المدعو مصطفى بن محي الدين وقد عبر فيها عن تعاطفه التام مع عمه عبد المالك الثائر ضد فرنسا ، حتى انه في سنة 1917م طلب رخصة من السلطات الفرنسية للذهاب للمغرب والمساهمة في حل قضية عمه ولكن الجنرال ليوتي رفض بشدة وطالب باريس بعزل الأمير خالد عن المغرب. وتشير مصادر أخرى أن الأمير خالد انخرط معهم في نشاط ثوري سري لتحرير المغرب العربي في إطار تشكيلات فدائية سرية التي كان يعمل فيها الكثير من المغاربة من بينهم عبد العزيز الثعالبي وصالح بن يحيى وقد كان هدفها القيام بثورة مغاربية من طرابلس إلى المحيط وفي هذا السياق شكلت لها العديد من الفروع في أنحاء المغرب العربي من بينها "الجمعية السرية في واد ميزاب " تحت رئاسة الشيخ الحاج بكير العتقه ومن أعضائها الأمير خالد.وكان أهداف هذه الجمعية تتلخص في قلب نظام الحكم والقيام بأعمال تجريبية ضد المصالح الفرنسية.

ومن خلال نشاطه السياسي دافع الأمير خالد عن مبدأ المساواة مع المحافظة على أحوال الشخصية الإسلامية من خلال جريدة الإقدام ،كما أكدت الوثائق الفرنسية أن هناك علاقة كانت قائمة بين الجزائريين "الخالدين" والتونسيين "الثعالبيين"، فقد احتجت جريدة الإقدام التي كان يصدرها الامير خالد على السلطات الفرنسية بعد منعها للصحف التونسية من الدخول للجزائر .

وتشير مصادر أخرى إلى العلاقة الوطيدة التي كانت موجودة بين الثعالبي والشيخ صالح بن يحيى والكثير من أعيان الجزائر ،فقد وجه الرجلان دعوة للأمير خالد للقيام بالجهاد المغاربي .فقد ذكر الشيخ "إبراهيم الطفيش المزابي الجزائري" الذي كان عضو في حزب الدستوري التونسي أن الثعالبي عرض على خالد الوحدة بين الحركتين واتباع منهج واحد ولكن الأمير خالد رفض فقد كان هذا الأخير مطلعا على كل المضامين الحركة الوطنية التونسية ، ووجه رسالة توبيخ إلى المحامي التونسي "حسن قلاتي" بعد أن انشق هذا الأخير عن الحزب الدستوري وتعاونه مع نظام الحماية . فقد ذكر كثيرا أن حركة الأمير خالد كانت موحدة مع الحركة الوطنية التونسية من حيث المطالب والخطة وليس من قبيل

الصدفة أن يتم نفي عبد العزيز الثعالبي في سنة 1923م ليليه نفي الأمير خالد سنة 1924م .

5/ صدى ثورة الريف المغربية في الحركة الوطنية 1921 – 1926 :

تابعت منطقة المغرب العربي وبما فيها الجزائر أحداث الثورة الريفية بشكل واضح .فبقدر ما كان لهذه الثورة من صدى على هذه المنطقة للانتصارات التي حققتها، كان لها تأثيرا كبيرا و تعاطفا معها نظرا للطريقة المتوحشة التي تم قمعها و القضاء عليها.

لقد كان زعيم هذه الثورة عبد الكريم الخطابي في نظرمسلمي شمال إفريقيا بطلا وطنيا وزعيما قوميا ، بالرغم من أن ثورته كانت في المنطقة الشمالية الخاضعة لإسبانيا إلا أنها أثرت تأثيرا كبيرا على المنطقة الجنوبية الخاضعة لفرنسا .فالجنرال ليوتي لم يكن يسمح "بوجود قطب جاذبية لجميع هؤلاء الذين كانوا يطمحون لاستقلال إفريقيا الإسلامية " كما جاء في كتاب "ليوتي الإفريقي". ولذلك اعتبرت فرنسا نفسها معنية بإيقاف هذه الحركة التحررية للقضاء على هذه "العاصفة المغاربية " مع الثورة الريفية التي قد تؤدي إلى خطر كبير يزعزع وجودها ليس في المغرب فقد بل حتى في تونس والجزائر. وهذا ما أدى بها إلى اعتراض كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إثارة المنطقة بالتنسيق مع عبد الكريم فشددت رقابتها على العديد من الرجال الوطنيين المغاربة بنفي العديد منهم كما هو الحال للشيخ إبراهيم الطفيش المزابي الذي تم نفيه إلى مصر في فيفري 1923 م ،كما قامت بمضايقة عبد العزيز الثعالبي مما ادى الى نفيه هو الاخر الى المشرق العربي وعندما ظهر ان الامير خالد كان" خطابيا" اعتبرت تحركاته في الجزائر خطرا ليس في الجزائر فقط بل حتى في منطقة المغرب العربي ولذلك تم نفيه هو الآخر في سنة 1924م ، ولما زاد في الأمر تأكيد لهذه الحقائق التاريخية الصدى الذي أحدثته انتصارات الخطابي على الإسبان خاصة في معركة "أنوال" 1921م ،كما كان للإعلان جمهورية الريف من طرف الخطابي آثارا كبيرة على الحركة الوطنية الجزائرية لأنها ذكرتهم وربطتهم تاريخيا مع دولة الأمير عبد القادر وعندما اعتبرت فرنسا هذه التطورات مساسا بوجودها في شمال إفريقيا.

تحالفت مع اسبانيا ضد الريف ولذلك قام عبد الكريم الخطابي بتوجيه نداء المغرب العربي في 15 أوت 1925 دعي فيه الأمة الجزائرية والتونسية للوقوف معه لطرد الاستعمار الفرنسي الإسباني كما دعى الجنود الجزائريين والتونسيين المتواجدين في الجيش الفرنسي إلى التمرد وتحطيم نير العبودية وطرد المعتدين وقد أشاد في هذا النداء بالجزائريين والتونسيين الذين فروا من الجيش الفرنسي والتحقوا به في جبل الريف للقتال الى جانبه.

كما دعى المغاربة إلى الاتحاد لتكوين عصبة واحدة لدحض الأعداء وتشكيل جمهورية كبيرة تكون أركانها جميع بلاد إفريقيا الشمالية ، كما وزع الخطابي بيانا جاء فيه تركيزا ملفتا للنظر على قضية الأمير خالد وكيف تمت معاملته من طرف فرنسا ، فالأمير خالد نفي عندما كانت ثورة الريف في أوج قوتها وليس غريبا أن تتضمن وثيقة نفي الأمير خالد تهمة التواطئ مع الأمير عبد الكريم ومع الشيوعيين . فاليسار تعاطف كثيرا مع القضية الريفية واعتبرها حدثا يمكن أن يعجل لقيام ثورة في كل المغرب العربي ،ولذلك كان أول مؤتمرا انعقد لمناضلي شمال إفريقيا في 07 ديسمبر 1924 م بباريس بتأطير من طرف الأمير خالد والحاج علي عبد القادر وعلي الحمامي ومصالي الحاج ، ومن أهم قرارات هذا المؤتمر إرسال برقية تأييد على ثورة الخطابي جاء فيها" أنه في هذه اللحظة التاريخية يهنئ فيها المؤتمر المحاربين في المغرب وزعيمهم البطل عبد الكريم على نجاحهم ضد الإمبريالية إسبانية كما أعلنوا تضامنهم الكامل مع المغاربة من أجل تحرير بلادهم ".

واصل الجزائريون في فرنسا نشاطهم لتدعيم ثورة الريف ، ففي شهري أفريا وماي 1925م اجتمع العمال المغاربة في مرسيليا وطالبو بوضع حد لحرب الريف معتبرين هذه الحرب احتضار للاستعمار الأوروبي في شمال إفريقيا. لقد استغل المهاجرين الجزائريين قضية الريف بشكل محوري لتحريك النضال الوطني التحرري في الجزائر وغيرها .بالرغم انه في الجزائر كانت الحركة الوطنية بلا قيادة بعد نفي الأمير خالد فإنه ظهر أن العديد من المدن

الجزائرية تأثرت بأحداث الريف من خلال البيانات والأحاديث العامة ، وقد ذكر محفوظ قداش ان العديد من المدن الجزائرية مثل تلمسان ،سعيدة ، جيجل ، وهران والبليدة وبرج بوعريريج وبني منصور ووهران والبليدة..... الخ ظهرت فيها نشاطات تضامنت مع أحداث الريف. وذكرت المصادر التاريخية والتقارير الفرنسية أن الشرطة أوقفت فريق من المتآمرين تحت رجل يسمى "الريغي" وجاء في هذه التقارير أن هؤلاء وضعوا خطة بالتنسيق مع الحزب الثوري الذي كان يتزعمه الأمير خالد بغرض القيام بثورة في الجزائر بالتنسيق مع ثورة الريف كما ذكر ذلك أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية .

وحسب تقرير أحد المغاربة قدمه في تجمع لنجم شمال إفريقيا في نهاية 1927 م جاء فيه أن السلطات الفرنسية شددت الرقابة على الجزائريين بين سنتي 1923 و 1926 بخلفية ثورة الريف. ففي 1923 م وضعت 45 جزائري تحت الإقامة الجبرية اتهموا بالتشهير لأحداث الريف ، وفي 1924م 27 جزائري بنفس التهمة .

ففي مدينة معسكر تم توقيف المسمى بالحاج عبد القادر بن محمد بتهمة الاتصال بعبد الكريم وقد ذكر ذلك الشاذلي خير الله في تقرير قدمه في نجم شمال إفريقيا في 27 ديسمبر 1927 ،و في فرنسا أوقفت الشرطة الفرنسية أحد الجزائريين المدعو محمد لكحل وآخر يدعى الطيب بلكحل وكل هؤلاء اتهموا بالقيام بالدعاية لصالح ثورة الريف وليس غريبا ان يكون أحد الجزائريين المسمى البغدادي فقد انتقل إلى تلمسان بعد نفي الخطابي ، ويقال أنه بعد ما سمح عن تحريره 1947 باع كل ممتلكاته وانتقل على القاهرة للعمل بجانبه .

لقد كان لليسار الفرنسي في الجزائر نشاط مكثف لصالح الثورة الريفية ابتداء من 1925م فقد قامت فيدرالية الشيوعيين الجزائريين لمساندة ثورة الريف عن طريق التجمعات والمظاهرات في الجزائر . فطالبو بإيقاف الحرب وإقرار السلام والاعتراف بجمهورية الريف ومن خلال العديد من الجرائد مثل الكفاح الاجتماعي "و"الباريا" و " لومانيتيي" صور الشيوعيين الخطابي رجلا علمانيا عصريا ومثالا للبطل التركي مصطفى كمال أتاتورك .رغم

ان الخطابي في حد ذاته نفى هذه الصلة لأنه كان دائما يعتبر نفسه من سلالة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين .

ومن آثار أحداث الريف في الجزائر توقيف السلطات الفرنسية في أكتوبر 1925م صدور جريدة المنتقد التي كان يصدرها عبد الحميد بن باديس بعد مقالات كتبها عن الثورة الريفية وشخصية الخطابي ، فقد اعتبرتها السلطات الفرنسية معرضة ومسيئة لشرف فرنسا في الجزائر ومهدد لكيانها فقد ذكر المؤرخ الفرنسي آجيرون:" أن الحاكم العام الفرنسي في الجزائر فيوليت أكد على ضرورة إزالة اسم عبد الكريم من الساحة الجزائرية بأي ثمن".

وفي نفس السياق اعتقلت السلطات الفرنسية في تونس الطالب الجزائري مفدي زكريا بعد أن نشر قصيدة عنوانها "إلى الريفيين" في جريدة "لسان الشعب" في ماي 1925 م ، وقيل حينها أن هذه القصيدة تجاوزت حدود المغرب العربي لتصل على القارئ المشرقي ، وقد جاء في هذه القصيدة تشبيه ثوار الريف بالأبطال الفاتحين الأوائل مطالبا كل سكان المغرب العربي بالسير وراء هذه الثورة ،كما تعرض احد الجزائريين المسمى عبد الرحمن اللعلاوي على النفي بتهمة المشاركة في تصدير أفكار الثورة الريفية وقد كان في ديسمبر 1925م وقد استغل هذا الرجل المظاهرات التي كانت تندد بتنصيب تمثال الكاردينال لا فيجري أمام مدخل مدينة تونس ، وكان من نتائج هذه الأحداث إيقاف علي الحمامي الجزائري المغاربي وجماعته بتهمة التآمر على أمن الدولة حيث تم نفيه الى إيطاليا ، وقد تواترت الأخبار على ان محمد علي الحامي كان يريد الالتحاق بحركة عبد الكريم الخطابي مع مجموعة من الجزائريين بشكل منتظم . ومهما يكن الأمر فإن ثورة الخطابي التي استفادت من ثورة الأمير عبد المالك كانت حركة مغاربية في أهدافها البعيدة ، فالانتصارات التي احرزتها على الإسبان ، وتسعى في طموحاتها إلى تحرير المغرب العربي عوض منطقة الريف فقط او حتى المغرب ، وعندما كانت كذلك تفاعل معها المغاربة واعتبروها خلاصا من الهيمنة الاستعمارية وقد تفاعل معها الجزائريون سواء

اللذين كانوا في المهجر أوفي الجزائر لأنها ذكرتهم بمقاومة الأمير عبد القادر ،وأحيت فيهم رغبة تحريرية ببعد مغاربي وبالرغم من نهاية هذه المقاومة بشكل مأساوي إلا أن شعلتها بقيت مشتعلة ولعل تأسيسي شمال إفريقيا 1926م في فرنسا من الانعكاسات الكبرى لهذه الحرب.